قصف المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر) في منطقة (جبل الطويل) بالبيرة

تعرّض مقر المركز الثقافي الفلسطيني «بيت الشعر»، ليلة 20-2-2001 لقصف صهيوني من مستوطنة «بيسغوت» المقامة على أراض فلسطينية في منطقة جبل الطويل بالبيرة.
جاء ذلك في سياق العدوان الهمجي الذي تشنّه قوات الاحتلال، يومياً، على شعبنا ومؤسساته الوطنية ومراكزه الثقافية والصحية والاجتماعية .
يذكر أن القصف طال، أيضاً، صحيفة «الحياة الجديدة»، كما طال مدرسة «الأيتام»، وعدداً من البيوت في مدينة البيرة التي تصرّ مستوطنة «بيسغوت» على ترويع سكانها في محاولة لإرهابهم وإلحاق الأذى والضرر بهم وبعائلاتهم.
إنّ قصف «بيت الشعر» الفلسطيني دليل مضاف على الحقد الصهيوني ضد الثقافة الفلسطينية بكل أبعادها ورموزها، حيث أن هذه الثقافة التي مورست عليها كافة أشكال التغريب والاستلاب، كانت عصيّةً على الترويض والتدجين والإلغاء، إذ ثبت المثقف الفلسطيني على جذوره الحضارية والإنسانية الضاربة في أعماق هذه الأرض.
وأكد «البيت» أن الاحتلال لن يمنعه من أداء رسالته الثقافية والإبداعية، معتزّاً بالثقافة الفلسطينية التي تعطي الصراع العربي الصهيوني بعداً حضارياً، فاضحة بذلك أساليب الخرافة اليهودية المصطنعة.
وطالب «بيت الشعر»، على لسان رئيسه الشاعر المتوكل طه، كافة المؤسسات والمراكز الثقافية العربية والعالمية بتحمّل مسؤولياتها، والوقوف إلى جانب المؤسسة الثقافية الفلسطينية المستهدفة، داعياً المثقفين العرب إلى فضح ممارسات الاحتلال التي تزداد ضراوة يوماً بعد يوم.

يقصفون (ديوان العرب)

«وأخاف أخاف من الغدر
من سكين يغمد في ظهري
لكني يا أغلى .. صاحب
يا طيب يا بيت الشعر
رغم الشك ورغم الأحزان
أسمع أسمع وقع خطى الفجر»
(سميح القاسم – 1964)

الشعر ديوان العرب، الشعر روح فلسطين! فلسطين حالة شعرية، ملحمة لمّا تنته بعد، هو وجهها، كيف كنا سنعرفها دون الشعر؟ كيف كنا سنتحسسها؟ نلمسها ونشم رائحتها في رؤانا؟ وكيف كنا سنستطيع العشق من دون أضمومة أو زهرات من حديقة الشعر! الشعر في فلسطين يختلف عنه في أرجاء المعمورة، الشعر هنا له رائحة خاصة، هو وسادة نتكئ عليها، وفي أحيان كثيرة ملجأنا الوحيد؟ إلى جانب كوب الشاي والزعتر واللبنة والخبز يوجد مكان للشعر . الصداقة شعر، المحبة شعر، الطفولة شعر، الجمال شعر، وعندما يرحل الفلسطيني يودعونه بالشعر، لأننا نحب الخبز والفلافل وشقاوة الأطفال وعربات الخيل في الأعياد .

في عكا، نحب الشعر، لأننا نحب البحر، والأمواج هادئة وصاخبة نحب الشعر! كيف كنا سنحتمل ليل و(صقيع) حزيران بلا شعر؟ وكيف كنا سنغسل بقعة أيلول السوداء عن جلدنا لولا الشعر؟ وكيف كنا سنبني الجسور مع من حملتهم العاصفة بعيداً عن جذع الأم لولا الشعر؟ وكيف كنا سنبدو من دون .. «أناديكم .. أشد على أياديكم» .

يرفسون بيت الشعر بحوافرهم! يدلقون كل دمهم الثقيل على بيت الشعر! فتباً لهم.. تباً لهم! هل عرفتم لماذا كل هذا الحقد على بيت الشعر؟ لقد كان الشعر الفلسطيني ولمّا يزل، ضمير فلسطين، عندما أحدق الخطر بالأم تدفق ينبوع الشعر، وعندما ذبحت الأم سال الشعر دماً ودموعاً، وأول من (قرع الخزان) بقوة كان الشعر، لقد كان الشعر دعامة نفسية وملجأ لأمة مهددة بالذبح اليومي، الشعر لعب دور الطبيب المداوي، وأقنع المريض بإمكانية، بل، وبحتمية الشفاء، كل ثورات الأرض تحني قامتها لشعر

فلسطين، ولا يمكن لأمة متحضرة إلا أن يكون للشعر الفلسطيني مكان من قلبها! والأمم التي لا تعرف شعر فلسطين هي أمم وحشية، حتى لو اخترعت كل يوم «ماكنة» قتل جديدة.

تقلبت الدنيا كثيراً، ارتفعت وهبطت، شدت وأرخت، رائحة الدم، رائحة موت، تملأ رئتي السماء، غبار ذري يطارد أولاد رام الله وخان يونس، غاز متوتر، متشنج، أعصاب، جنون، معمعة، ملك الموت يسفر عن وجهه المروع، ولا يحافظ على رباطة جأشه سوى الشعر، الشعر يبهجنا، نعشقه ويعشقنا، يزوجنا ويرثينا.

آه، أيتها القصة القصيرة ها هي الكلاب المسعورة تهوش على بيت الشعر! آه، أيتها الرواية ها هي الكلاب تنهش أجمل ما فينا، أجمل ما في فلسطين، يحاول هؤلاء المجانين أن يذبحوا القصيدة، ألم يفهم هؤلاء الأغبياء أنه مكان كل كلمة تجرح تنبت ألف قصيدة! ألم يقنعوا، بعد، أن الشعر ديوان العرب؟ وأن الشعر والشعراء مثل الخبز والهواء والماء! ولا يمكن لغير الشعر أن يعطي شكلاً لفلسطين، وعندما ييأس الفلسطيني من كل شيء في هذا العالم يهرب إلى القصيدة، يعانقها ويختبئ تحت لحافه معها، ألا يعرف هؤلاء أن المقاتل عندما يسيل دمه يستند إلى أبيات من شعر:

«أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح»

لأجل كل هذا يقصفون بيت الشعر، يقصفون الأمل، يقصفون روح فلسطين، ولكن، وألف ألف لكن، إننا نراهم صغاراً، تافهين ورخيصين أمام بيت شعر يطل من جرح شاعر، سيبقى الشعر ديوان العرب وقابلة الفلسطينيين، وسيحفظ أبناؤنا الشعر والشعراء تحت رموش عيونهم، ولينتحر الفولاذ والبارود والغاز السام، ولينتحر القتلة المجرمون، وليشربوا خزيهم، وليعش الشعر .. تندحر الفاشية ويحيا الشعر، عاش الشعر .

سهيل كيوان

عشرة إصدارات جديدة
وأخرى تحت الطباعة، عن (بيت الشعر)

صدر عدد من المجموعات الشعرية والقصصية لشعراء وكتاب فلسطينيين، وذلك بالتعاون بين «بيت الشعر الفلسطيني» و«مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع» في رام الله .
«دعسة بنت النبي»، مجموعة الشاعر الجليلي سعود الأسدي، وللشاعر علي الخليلي «خريف الصفات» و«زفرات الهوامش» للشاعر محمد حلمي الريشة، وللشاعر ربحي محمود «عودة المسافر»، أما الشاعر عثمان حسين فحملت مجموعته عنوان «له أنت»، و«أحلام السنونوة» للشاعر علاء الدين كاتبة، و«القدس أرض السماء» لمحمد ضمرة، و«نوم كما أرى» للشاعر أشرف الزغل، و«لم لا» لبكر أبو بكر و«نشيد الذاكرة» لصخر أبو نزار .

في «نشيد الذاكرة» يستمر الشاعر «أبو نزار» في إنتاج نص «أدب المقاومة» كأن في ذلك إصراراً على أن «النص المقاتل» لم ينضب .

«باقٍ أنا .. بالفتح أفتح أبواب السماء
وكلّ أشرعة الضياء
فكل شبر من ترابك موطني
هو نبضة في القلب تقسم أن تظل
مع الإرادة ... صابرة» .

وفي اللهجة الفلسطينية المحكية يفجر الشاعر سعود الأسدي الموسيقى العذبة لهذه «الفلسطينية» التي تعطيه مقامات وأنغام لا تحصى كي يفرغ أمانيه ورغباته وصبواته .

«يا ريتني عَ لربوع أرجع صبي
هيكي زغير، وع الوطاه أحبي أحبي
... ...
وأحط راسي على الصخرة وأستريح
مطرح مَ دعست بالقدم بنت النبي!!»

والشاعر علي الخليلي يضيف مجموعة جديدة إلى منجزه الشعري، محافظاً على الأجواء ذاتها لمناخ «الأدب المقاوم»، بتنقلات يسرة بين تفعيلات عدة، فتأتي قصائد «خريف الصفات» بإيقاعات سلسة، تكفيه للإبحار بين الذاكرة والمناجاة، والتأمل والموقف الوطني .

«لا أريد جواباً من الريح، أو من سكون العناصر
إني تركت لكم ما تبقى من العمر
أو ما تبقى من الذكريات
مقابل أسئلة عاصيات ..»

وربما أراد الشاعر محمد حلمي الريشة أن يقدم مجموعة نصوص أخرى بعد أن أصدر تسع مجموعات شعرية، ففي «زفرات الهوامش» التي ضمنها مجموعة نصوص نثرية وحوارات صحافية، طرح فيها آراءه وتصوّراته عن الشعر، والوطن، والمرأة والاحتلال.

ولقد أفرد لذلك هوامش عدة للبوح، والحوار، والبرق، والأرض، والرثاء، والإيماءة، والخروج .. وبقي عنده السؤال الأخير الذي لم يسأله بعد، الذي «لا يحتاج إلى علامة استفهام في آخره، ولا يدري متى يستطيع أن يمده بمداده، ليُحبّره على الورق الأصفر الذي ينظر إليه بعين الشفقة» .

أما الشاعر ربحي محمود فيتساءل مع نفسه :

«أأكتب قصة التحنان
قصة حزننا المخبوء
في الأصقاع والأمصار
أم أمضي إلى غدنا
الذي ما زال ينتظر» .

لكنه يعود محمّلاً بالحزن والأثقال لأنّنا:

« .. لم نسافر في بلاد الله
لم تلعب بنا الساعات والأيام والدول
ولم نظهر بثوب الغربة الدامي
ولم تبدل الأنواء والأخطار
كأن الحبّ غادرنا
وغامر في فيافي الشرق الغرب»..

هذا «المسافر» من صبر ودم يعود إلى «المعابر» و«الحنين»، ويفسّر العودة في «معنى العودة» و«تغريبة

المشتاق» و«الحوارات الهامشية» و«الرجل المعبأ بالكذب» ويبقى يتساءل:

«أأبحث عن جنة لا تغيب
لأنك أنت الملاذ الأخير
وأنك أنت الهوى والمدى
والندى والشباب» .

وفي الخطاب الشعري الجديد، أو ما اتفق على تسميته قصيدة النثر، يقدم الشاعر عثمان حسين مجموعته «له أنت» .. ربما أراد عثمان حسين أن يستمر في الإصرار على انتزاع شرعية هذه القصيدة الخارجة عن المألوف بأصالة ورؤية جديدة . «له أنت» خطاب شعري لا يجاري ما تم التعارف عليه في القصيدة الفلسطينية من حيث الشكل والإيقاع، وكذلك المضمون . «له أنت» سبر لأغوار اليومي في المشهد الحياتي، وتأمل ذكي تعطيه المفارقة الذهنية والحسية لسعات شعرية تمنح النصّ قوة الحضور والفاعلية .

وتأتي «أحلام السنونوة» للشاعر علاء الدين كاتبة لتعزز القصيدة الجديدة، وتؤازر شرعيتها وحقها في الحضور الجديد من الرؤى والخطاب الشعري . وبين اللغة والحلم بتطويعها والنص الصوفي العرفاني يمضي علاء الدين كاتبة في بث أحلامه كالسنونوة في عسل الحلم:

«ربّة القلب
شفاه الهمس
يا سيّئة الفضيلة
قسوة الدهشة .. وارتعاشات القصيدة» .

أمّا الشاعر محمد ضمرة فأراد أن يقدم أناشيد للفتيان عن «القدس أرض السماء»:

«القدس تنادي الأحبابا — ليضم هواها من غابا
فبنوها ما عقوا أمّا — أو راموا هجراً وغيابا
بل ظلوا فيها كحمام — يهدل بالنجوى أسرابا
وبكل زقاق ذاكرة — تحكي أحجاراً وترابا»

ويبدو أن المهندس الشاب بكر أبو بكر قرر خوض مغامرة الكتابة الأدبية وهو يتساءل «لم لا»، بهذا السؤال الساخر يفضي لنا إلى عالم ساخر في أجواء الكوميديا السوداء، ويغوص في تفاصيل مكونات عالمه في المكان وتفاصيله، في الإنسان وتفاصيله، امرأة كانت أم رجلاً معطياً عمقاً فلسفياً وبعداً انتمائياً وطنياً لأبطال مجموعته القصصية «لم لا» .
يبقى أن نقول: إن ثمة بصمة خاصة لبكر أبو بكر، ومحاولة جديدة في المشهد القصصي الفلسطيني .

وجاءت المجموعة الشعرية الثانية للشاعر أشرف الزغل، عن «بيت الشعر» بعنوان: «نوم كما أرى»، في (80) صفحة من القطع المتوسط، تضمّنت عشر قصائد تجوّلت بين: عودة من البيت، معمار، تضاريس بعض الحكايا، عشر طرق للنظر إلى الهواء، جدارية، نوم كما أرى، طواف، أشمّ انتظاري، الأخبار كما وصلتني والشائك في المقهى .

قصائد أشرف تتضمن هندسة ما، تبدو «الأنا» مغتربة، ساخرة ولاذعة، تلتصق بالأشياء وتمتص آلام اليومي، وتمنح الشاعر حرية البوح عن هواجسه، ألمه وأمله .

وهذا هو الديوان الثاني لأشرف الزغل بعد ديوانه «دواليب الرماد» بالاشتراك مع الشاعر عبد الرحيم الشيخ .

«نوم كما أرى» انحياز لشاعر يثابر لهندسة طريقه وحده .

ويذكر أن الفنان جمال الأفغاني صمّم غلاف هذه المجموعة .

ومع صدور هذا العدد تكون الكتب العشرة التي أخذ «بيت الشعر» في فلسطين على عاتقه طباعتها دعماً منه للشأن الثقافي العراقي المحاصر، علماً أن مجلة «الشعراء» أعدّت ثلاثة ملفات نشرت وتناولت واقع الثقافة في العراق الشقيق المحاصر، مساهمة واجبةً لكسر عزلة العراق والوقوف في وجه الحصار الغاشم، والكتب هي:

كتاب «شريعة النواب» – حسن النواب، و«صحراء بوذا» – خضيّر ميري، و«الغدير الأخير» – زهور دكسن، و«ما لا يفضحه السراج» – طالب عبد العزيز، و«بمناسبة وجودي حياً» – عادل عبد الله، و«كتاب اليوم .. كتاب الساحر» – عبد الزهرة زكي، و«بعض ما يمكن أن» – عبد المطلب محمود، و«قرابين العش الذهبي» – منذر عبد الحر، و«خسوف برهان الكتبي» – لطفية الدليمي، و«أنساغ القلب» وهي مجموعة شعرية لعدد من الشعراء العراقيين .

سهام أبو شباب

(بيت الشعر الفلسطيني) يهنئ
(بيت الشعر) في لندن

وجّه المركز الثقافي الفلسطيني «بيت الشعر» برقية تهنئة الى الشاعر العراقي «هاشم شفيق» لمناسبة إعلان الأخير عن تأسيس «بيت الشعر» في لندن، عبر بيان تم إرسال نسخة منه إلى «بيت الشعر» الفلسطيني.

فيما يلي نص البيان الصادر عن «بيت الشعر» في لندن:

نهر الأبدية
البيان التأسيسي لـِ(بيت الشعر) في بريطانيا

يمضي العالم ويسير، والناس فيه ساعون إلى تدبير شؤونهم اليومية، في حياة لا تني تقدّم المزيد من التقدّم الحضاري منذ الإنفجار المدهش للحداثة، ذلك الإنفجار الذي تجلّى في السياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والصناعة ومن ثمّ الفنون، ومن بين هذه الفنون الشعر الذي يكاد أن يختنق نتيجة النمو المطرّد في سياق الحداثة ووصولها إلى ما وصلت إليه من تحديث في وسائل اتصالاتها المتمثّلة بتقنية فنية عالية على صعيد المعلوماتية ووقوف العالم على آخر ما أحدثته العولمة من نتائج آلية في حقل الكومبيوتر والإنترنت والفضائيات المرئية . في هكذا متوالية ما فتئت الحداثة تجترح المعجزات القادرة على إبهار الإنسانية والكون بغية تحويله إلى عالم صغير حافل بالأرقام والحاسوب والأزرار الإلكترونية .
إذن في هكذا مآل هل نحتاج إلى الشعر؟ وما الذي سيقدّمه هذا الفنّ المدحور آلياً للزمن والآتي؟ سؤال بات يؤرّق الشعراء والمهتمّين به من نقّاد وباحثين ودارسين، من رعاة أحلام وأخيلة وجماليّات، سؤال صار ينهض من رماد الحاضر ليقف ويتحدّى، إنه سؤال الشعر الذي لا يموت، الشعر الذي نحتاجه اليوم ليدرأ عنّا ما تقدّمه التراجيديا من قروح، وليطرد عنّا ما يقدمه القرن الواحد والعشرون من الكآبة والضجر والملال، الذي يسود حياتنا المعاصرة، هذي الحياة المتميّزة بالإضطراب واليأس والوحشة .
إننا الآن نحتاج الشعر، هذا الكائن السرّي والخفيّ أكثر من أي وقت مضى، ففي قيعانه وشعابه ومنحدراته سنعثر على الدلالة لمعنى وجودنا، ففيه تتغوّر أسئلة الحياة والعدم، أسئلة الميتافيزيق

والوقائع المحسوسة، أسئلة المأساة والملهاة، فضلاً عن سؤال الحقيقة ولغز الأبدية.
إن قصيدة عظيمة مشغولة بإتقان ودقة وجهد فني كبير، لهي باقية أكثر من ألف عام، أي أنها تصمد أكثر من موقع أثري أو معبد وقصر، فقصائد أبي نوّاس والمتنبّي وبشّار بن برد على، سبيل المثال، صمدتْ أكثر من ألف عام، بينما كل ما بناه الخلفاء العباسيون من قصور وأبهاء ومدائن، لم يبق منها شيء، لقد زال أغلبها وطوته رياح التغيير والتحوّلات الأركيولوجية، وهنا تَصْدُق نبوءة «دانتي» الذي كتب أشعاراً قال: إنها ستعمّر أكثر من تمثال حديدي . إذن لنردّد مع الشاعر الألماني «هولدرلن»: أنّ ما يبقى يؤسسه الشعراء .
الشعر، هذا النهر الجميل سيبقى يرافق الحياة في صيرورتها وتبدّلاتها، إنّه نهر الأبديّة الذي سيتدفّق بالكلمات، معزّزاً مجرى الفن الراقي الحافل بالموسيقى والألوان والحكاية والخط والصورة، إنه يجمعنا بهذه الأنساق الرهيفة جميعها، ويجمعنا، أيضاً، نتيجة حميميّته وشفافيّته بالإنسانية وعطاءاتها الكبرى، مع النور والتقدم والجمال، وضدّ الظلم والطغيان والجبروت والعسف والعتمة، من هنا ينبغي علينا صيانة هذا الفن الرفيع ومؤازرته ودعمه ورعايته بشتى السبل والوسائل والطرق التي بإمكانها إيصال الشعر إلى المتلقّي .
من هنا حيث نقيم في لندن، وجدنا أن الأمر أمسى ضرورياً لتأسيس «بيت الشعر» أسوة بالبيوت العربية التي تأسست في العقد الأخير من العقد الماضي . و«بيت الشعر» الذي سيكون مقرّه في لندن سيشكل امتداداً للبيوت الشعرية العربية، لإقامة الجسور بينه وبينها، من أجل تطوير وتمتين مجالات التعاون الإبداعي في حقل الشعر العربي، وسيكون «بيت الشعر»، هذا حاضنة للنشاطات الإبداعية الشعرية والنقدية، وسيقدم «بيت الشعر» في بريطانيا حسب قدراته المتواضعة، كونه فنّاً جمالياً لغوياً متقشّفاً وحالماً، بتثبيت الخطوات الأولى:
* إقامة الأمسيات والندوات الشعريّة والنقدية .
* مناقشة الأعمال الشعرية والنقدية الصادرة حديثاً .
* إقامة ندوات تكريم للشعراء والنقاد المتميّزين الذين قدّموا عطاءات بيّنة في المجالين الشعري والنقدي .
* محاولة دمج الموسيقى والفن التشكيلي في الندوات الشعرية .
* محاولة تعلّم إنشاد الشعر وتلاوته .
* إنشاء «مجلس الشعراء» لغرض الإستشارة والتنسيق والتشاور بشأن الندوات الشعرية والأمور الإبداعية الأخرى في كل من العواصم والمدن العربية والأوروبية: بريطانيا، الدنمارك، السويد، فرنسا، هولندا، بولونيا، أميركا، استراليا، كندا، سويسرا، ألمانيا، العراق، مصر، لبنان، المغرب، سورية، تونس، الأردن، الجزائر، فلسطين، اليمن، السعودية، الكويت، أبو ظبي، دبي، عُمان، قطر، الشارقة، البحرين .

أما بخصوص الأحلام والمشاريع والمقترحات والآمال فإننا نطمح مستقبلاً إلى التالي:
* إيجاد مقر دائم .

* ترجمة الشعر العربي إلى الإنجليزية .
* إصدار مجلة شعرية للبيت تحت اسم «رؤى» تختص بالشعر، تحليلاً ودراسة، وبحثاً ومتابعة، ونقداً، فضلاً عن قيامها بمتابعة نشاطات «بيت الشعر» .
* إقامة مهرجان شعري عربي كل عامين .

وسيدعو بيت الشعر نخبة من المثقفين إلى حفل استقبال احتفاءً بهذه المناسبة .

هاشم شفيق
(لندن)
2001/2/15